

خطاب جلالة الملك

بمناسبة الذكرى الثانية والعشرين لثورة الملك والشعب

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

اعتاد المغرب كل سنة أن يحتفل بذكرى 20 غشت، تلك الذكرى التي تشخص مدى الالتحام الذي ساد في كل الأوقات، العلاقات بين الملك وشعبه، وتجسد كذلك الروابط التي لم ينل منها العدو ولا النفي ولا القتل ولا التشريد.

ولماذا نحتفل بذكرى 20 غشت ولا نحتفل بمناسبة أخرى ؟

نعم شعبي العزيز، ان شعبنا وتاريخه يتوفران ولله الحمد على معالم كثيرة، في طريقه نحو المجد والسؤدد، منذ أن جعل الله منا أمة وشعباً، ولو شئنا لكنا نحتفل بهذه المعالم التي ترصع طريقنا، ذلك لأن تاريخنا يزخر ولله الحمد بالمكارم وهو مليء بالملاحم، ولكن رأينا أن نحتفل بخشوع وطمأنينة، وأقول واطمئنان وايمان بذكرى 20 غشت، لأنها كانت هي الشرارة الأولى التي آذنت بانهيار الاستعمار في جميع أنحاء العالم، وبالأخص في قارتنا الافريقية.

وكان أولائك الذين ضحوا بحرياتهم وأنفسهم وأموالهم وبنيهم من ملك ومقاومين وجيش التحرير، كانوا أبطال تلك الملحمة، وما زال منهم من هو على قيد الحياة ينتظر أن يخوض الملحمة الثانية، ألا وهي ملحمة تحرير الأرض واستكمال السيادة.

شعبي العزيز

مراراً خاطبتك وحينما كنت أخاطبك كنت دائماً أشعر أن الخطاب الذي يجيء مني هو في الحقيقة مذاكرة بيني وبينك، لما تعلمه في نفسي، ولما أعلمه في نفسك، وكنت دائماً أقول لك شعبي العزيز إن بلادنا يجب أن تكون بلاداً محترمة، مهابة الجانب، موفورة الكرامة، ولا يمكن لهذه الهيبة أن تكون، وهذه الكرامة أن تكون، وهذا الاحترام أن يكون، إلا إذا ظهرنا بمظهر شعب جدي معقول يشغل أوقاته بالأمور الجادة لا بما يشبه المشاكل.

لذا شعبي العزيز كنت دائماً أقول لك علينا أن نعمل في الحقل الفلاحي، وعلينا أن نعمل في الحقل الصناعي، وعلينا أن نعمل في تكوين الاطارات، علينا أن نجعل من المغرب بلداً له سياسة، ولكن كذلك بلداً يعرف كيف يخلق وسائل سياسية : الوسائل المادية والوسائل المعنوية، حتى إذا تحرك المغرب، وتحرك معه أبناؤه كان في إمكان المغرب لما له من صيت، أن يحرك الشعوب الأخرى ويجعل العواصم تهتم ويجعل الأنظار تتجه نحوه، حتى يمكن إذ ذاك أن يجد بجانبه أصدقاء جديين جادين، ولا يجد بجانبه المتملقين الذين إذا ظهر لهم أن مصلحتهم تجعلهم يتنكرون لوعودهم أو للوفاء بوعدهم يتنكرون وينسون كل شيء.

لذا شعبي العزيز لا أريد أي مشكلة كيفما كانت عظمتها وكيفما كانت خطورتها، لا أريد أن نعطي



المشاكل اليومية التي أمامك.

عليك شعبي العزيز أن تفكر في صحرائك وأن تفكر في ترابك السليب، ولكن في آن واحد عليك أن تعلم أن من واجبك أن تزيد في الانتاج وأن تطبق تصميمك الخماسي وأن ترفع بلادك إلى المستوى اللائق بها، حتى يمكن لبلدك أن يعمل السياسة التي يجب أن تعمل، ويمكن له أن يخوض جميع المجالات بالوسائل الكافية، والوسائل الكفيلة التي توصلنا إلى النجاح وإلى الأهداف.

شعبي العزيز

ربما تنتظر مني أن أقول لك الكثير عن قضيتك الأولى وقضيتنا الأولى وهي الصحراء.

أقول لك ان ما يمكن أن يقال قد قيل، وما يمكن أن يكتب قد كتب، وأنا لست من القادة أو المسؤولين الذين يجيئون أمام شعوبهم ويقولون لها الربع من الحقيقة أو النصف من الحقيقة.

أنا من المسؤولين الواعين بأن أمامهم شعباً ذكياً بل أكثر من ذكي، ومن أمامهم شعب ذكي يحرم عليهم إذ ذاك أن يخفوا عليه الحقيقة أو يحاولوا أن يزيفوا عليه الحقيقة.

فالذي كان من اللازم أن تعرفه عن تحرير الصحراء ها أنت قد عرفته.

هناك أعمال أخرى جانبية قد سبقت أو هي الآن في طور التحقيق، أو هي ستكون في المستقبل.

أعمال ديبلوماسية دولية سياسية، ولا يمكن أن أقول لك كل شيء، ولكن لا يمكن لي كذلك أن أقول لك الحقيقة المبتورة، فالشيء الذي يمكن لي أن أقوله لك، شعبي العزيز، هو أنني ما تبدلت وما تغيرت، مثلما لم تتبدل ولم تتغير، منذ أن صرحت لك وصرحت أمام الملأ أجمع وأمام الضمير العالمي :

(نحن نريد تحرير صحرائنا بالوسائل السلمية وبالطرق القانونية)

نريد هذه الطرق القانونية والسلمية لأسباب متعددة.

ــ أولا : لأننا شعب لنا حضارة وتاريخ عريق في الأصالة، والشعوب الأصيلة والشعوب العريقة المجد، هي التي تسعى دائماً إلى حل المشاكل بالطرق السلمية.

ــ ثانياً : لأننا إذا تمكنا أن ننال مرادنا ونوفر المال والأرواح لكان من الأحسن أن نوفر المال والأرواح وننال مرادنا ولكن :

إذا لم يكن إلا الأسنة مركب فلا يسع المضطر إلا ركوبها

والذي أقوله لك، شعبي العزيز، إنني أتأمل كثيراً فيما قاله ستراتيجي ألماني معروف : الحرب هي المعركة الأخيرة التي يمكن أن يركبها الانسان إذا فشلت المعارك الديبلوماسية كلها.

ونحن في طريق المعارك الديبلوماسية وأملنا أن تنجح ولكن شعبي العزيز إذا هي لم تنجح فلن يبقى إلا أن نخوض غمار المعركة الأخيرة، ألا وهي معركة التضحية والاستشهاد.

لا أريد أن أطيل عليك في هذا المضمار شعبي العزيز، ولكن أريد من الجميع سواء أنت أي كل رجل رجل من شعبي أو كل امرأة امرأة أو كل شاب شاب ومن خلالكم ومن خلالنا، أريد أن يعرف كل واحد من العالم وكل واحد في قارتنا وكل واحد من أصدقائنا أو خصومنا أن هدفنا وعزمنا هو نيل أرضنا إما بالوسائل السلمية وإما بغير الوسائل السلمية.

وحينما يحين الحين شعبي العزيز ويدق الوقت يجب على كل واحد منا أن يهيء حقيبته ويبريء ذمته ويركب مطيته لكي يذهب إلى الساحة، في ذلك الوقت سوف أخاطبك لا ببذلتي هذه ولكن بالبذلة العسكرية، حتى أكون على رأس كل من أراد أن يجاهد ويستشهد في سبيل أرضه ووطنه.

هذه كلمتي إليك شعبي العزيز، أريد أن تخلدها في ذهنك وفي قلبك حتى إذا دق الوقت وآن الأوان لن أرى منك لا مترددا ولا متشككا.

ولا أريد أن نظل كل يوم نردد إننا سنعمل وسنعمل، لأن الذي يتحدث كثيراً ويصيح كثيراً لن يعطي جيرانه أو المراقبون الذين يتتبعونه قيمة لكلامه، أما نحن فلن نتحدث، والجواب ما سوف يرون لا ما يسمعون. فلهذا أريد منك أن تبقى متشبثاً بإيمانك وطمأنينتك. بقي أمامنا شهران أو شهران ونصف ريثما تقول محكمة العدل الدولية كلمتها، علينا أن نحترم تلك المحكمة، علينا أن نحترم قضاتها، علينا أن لا نخلق نشاطاً حتى لا يقال بأننا نكيفهم فيما يخص الرأي الذي سيعطونه.

يجب على المغرب أن يكون كذلك الرجل الموقن بحقه والموقن بما له ويظهر بمظهر الرصين الأمين المطمئن المومن، حتى تقول المحكمة كلمتها وهيأة الأمم المتحدة كلمتها، وإن شاء الله في أكتوبر أو في نونبر على أكثر تقدير سوف نعرف هل سندخل صحراءنا سلماً أم سندخلها حرباً، ولكن كيفما كان الحال بحول الله سبحانه وتعالى سندخلها آمنين محلقين رؤوسنا ومقصرين لا نخاف.

وأقول لكم : موعدنا ليس موعدا متروكاً للظروف، ولكن موعدنا مع صحرائنا قبل انتهاء هذه السنة المباركة علينا.

ولكن أريد كذلك شعبي العزيز، إذا كنت مستعداً لجميع التضحيات في الداخل عليك أن تكون مستعداً لأن تقف المواقف الحاسمة بالنسبة للدول الأخرى، علينا وعلى الجميع أن يعلم أننا التزمنا في نطاق وحدات ومجموعات دولية بالتضامن لقضية فلان وقضية فلان وقضية فلان، والتزمنا بالتعاون وضحينا وأرسلنا الأموال وأرسلنا الجيوش وأرسلنا كل ما يمكن ارساله في القارتين الأسيوية والافريقية.

وانطلاقا من هذا، علينا أن نكون مستعدين، ان اقتضى الحال، ولو بألم كبير، أن نراجع مواقفنا من هذا وذاك، وهذا وذاك، لأن قضية الصحراء بالنسبة للمغرب هي قضية فلسطين.

فيلزمنا إذن إذا كنا مستعدين لكي نضحي في سبيل الصحراء بأرواحنا، يلزمنا أن نواجه التضحية على الصعيد العالمي، لكي نراجع مواقفنا فيما إذا نحن لم نجد من الأصدقاء والأشقاء ما ننتظره من دعم، ونحن مستعدون لمراجعة سياستنا كلها ولو كان لك بمثابة الجرح الأليم، فلهذا شعبي العزيز، عليك أن تتخذ مرة أخرى من 20 غشت منطلقاً، منطلقاً للوعي، منطلقاً للتفكير العميق.

عليك أن تعلم أن قضية الصحراء ليست هي قضية في متناول الجميع.

عليك أن تعلم أن القضية لن ندركها بعملية في الداخل جغرافياً، فالمسألة صعبة، عملية الصحراء لن تسقط بين أيدينا كما تسقط الفواكه بين أيدي الذين هم تحت الأشجار ينتظرون أن تسقط الفواكه، مسألة الصحراء من ناحية المقياس الجغرافي والستراتيجي وما تنطوي عليه من إمكانات ومن أبعاد جيوسياسية كل هذا يجعل اننا إذا كنا نحن مصممين على أن نسترجعها فاسترجاعها للمغرب، أقول يستحق، وأكرر يستحق أن لا يخذل المغرب من طرف بعض الناس الذين كان ينتظر منهم الخير، لما في قضية الصحراء من مخلفات ومن عواقب ومن إمكانيات، فقضية الصحراء هي بمثابة الامتحان النهائي وليس جزئياً، فهي بمثابة الامتحان النهائي بالنسبة للمغرب ومستقبل المغرب وجدية المغرب وإرادة المغرب أن يربط مستقبله كما كان في ماضيه مربوطاً بأصدقائه وأشقائه الأفارقة، وأن لا يبقى معزولا بين بحرين وصحراء على رأسها حكم مزيف لا يلبث ثلاثة أو أربعة أسابيع حتى يأتي حكم آخر ليكون هو الحكم الحقيقي يتقمص الحكم الصحراوي ويرجع لنا بعد ذلك بأمبريالية جديدة بالاستعمار المقنع.

فانطلاقا من هذا كله شعبي العزيز، منكم من عاش الفترة ومنكم من لم يعشها أو كان صغيراً، فلنقيم نحن الذين عشنا تلك الفترة الحظوظ التي كانت لدينا لكي ننال استقلالنا في ظرف عامين ونصف، يظهر لنا إذا ما قيمناها علمياً وتقنياً وسياسياً نقول بأنه كان لنا حظ واحد من ألف، ومع ذلك نجحنا.

ولنقيم الآن حظوظنا بالنسبة لاسترجاع الصحراء، أقول لك وأنا متشائم جداً ان حظوظنا هي 50 في المئة فالذي استطاع أن ينشل من أيدي المستعمر سيادته واستقلاله، ولاحظ له سوى واحد في المئة، في إمكانه بل من الواجب عليه وحظوظه المتشائمة هي 50 في المئة أن يكون موقناً بأن سيادته ستبسط على تلك الأرض وأن جوامع تلك الأرض ستصلي بملك المغرب، وأن أعلام المغرب ستكون مرفوعة على جميع المباني الادارية، وأن أولئك المغاربة الذين يعيشون تحت الاستعمار سيتمتعون مرة أخرى بالحرية والكرامة حينما ينضمون إلى إخوانهم الذين هم في شمال بلادهم.

ولكن هذا كله شعبي العزيز مرهون بأن لا ننسى قوتنا اليومي، أن لا ننسى التنقيب عن الخيرات، وأن لاننسى الزيادة من استخراج الفوسفاط، ولا ننسى الزيادة في التنقيب عن المعادن، ولا ننسى تشييد السدود والقنوات، ولا ننسى رفع المستشفيات والمدارس، ولا ننسى أن نبني المعامل والمصانع، حتى يمكننا أن نبقى حقيقة سائرين في طريقنا وفي المستوى والسرعة التي اخترناها لأنفسنا، حتى لا يقال : إن قضية طارئة كيفما كان نوعها وكيفما كانت أهميتها قد غطت على القضايا اليومية التي هي في الحقيقة أقل حماساً وليست شيقة مثل الأخرى، لكن مع الأسف ضرورية.

فمن الضروري أن نفكر في الدخول المدرسي وأطرنا موجودة، وكل ما قررنا من إصلاحات في الجامعات يجب أن يطبق، وعلى الطلبة أن يستأنفوا دراستهم بنشاط وعلى التلاميذ أن يدخلوا إلى الثانويات بنشاط، لأنه لا يعقل أن يكون شعب قد جند نفسه لمعركة آتية واطره المفكرة سواء كانت في المدارس أو في المكاتب أو في المستشفيات أو في المعامل والمصانع، لا يعقل أن تكون متفرقة وأن تتلاعب بالمصالح الأولية للدولة كأوقات الشغل وأوقات الدراسة.

فمن سيحسبنا جادين ؟ وسيقول الناس إن هؤلاء لم يعرفوا تنظيم شؤونهم الداخلية ويقولون إنهم مستعدون ليقبضوا علينا وهم مستعدون لكل تضحية.

هذا شعبي العزيز، أمامنا مدة ستكون فترة يجب أن يعتبر كل واحد منا نفسه واجهة زجاجية لبلاده، يجب على كل مغربي كيفما كان مستواه. ريثما نسترجع صحراءنا أن يجعل نفسه واجهة زجاجية لبلاده تلزم على كل إنسان أن يحترم المغرب ويحب المغرب ويقف بجانب المغرب وأن يجعل من المغرب بلداً جدياً يعرف ما يريد، ولكن يعرف ما يريد حين يريد وفي الوقت الذي يريد وبالأساليب والوسائل التي يريدها.

شعبي العزيز

في الغالب وأنت تراني على هذه الشاشة أنت ترى بجانبي الحكومة، وترى كذلك بجانبي هذا ممثلين عن قدماء جيش التحرير والمقاومين. هؤلاء الاخوان الذين يمثلون الآية التي قال فيها الله تعالى : (من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا).

وترى كذلك ضباطاً سامين في القوات المسلحة الملكية، يجسمون ما لقواتنا وما لجيشنا من إيمان بقضية الصحراء، ما لجيشنا ولقواتنا المسلحة الملكية من حماس وتعطش للاستشهاد وللملحمة، ترى بجانبنا هنا حكومتنا التي نركن إليها لتعطينا نظرها ونظرياتها والتي نوكل إليها أمر تطبيق سياستنا.

وهكذا شعبي العزيز ترى ملكك جنديك الأول وإن اقتضى الحال المستشهد الأول، وترى بجانبه رجال الرأي والادارة ورجال الحرب والمعركة والكل مومن يسأل الله سبحانه وتعالى النصر والسداد والتوفيق والنصر المبين والفتح المكين، ان عليه سبحانه ان ينصرنا لأنه قال في كتابه العزيز : (ان تنصروا الله ينصركم) وقد أخذ على نفسه ان ينصرنا ان نحن نصرناه.

وها هو شهر الصيام مقبل وهو خير فرصة لنا لنصرة الله، ونصرتنا لله ليست النصرة المادية ولكن النصرة المعنوية الأدبية، علينا أن ننصر الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه وتقديس مقدساته واحترام حرماته.

فإذا نحن نصرنا الله هكذا صار حقاً على الله سبحانه وتعالى أن ينصرنا (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بفاس

الأربعاء 11 شعبان 1395 — 20 غشت 1975